السياسة الامريكية حيال سورية
في ظل الرئيس بشار الاسد

المدرس الدكتور
عارف محمد خلف(*)

المقدمة

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وانفراد الولايات المتحدة بزعامة العالم لم يعد التسابق على مناطق النفوذ ذات المواقع الجيوستراتيجية كما كان في السابق وعليه فان بعض الدول بدأت تفقد اهميتها الستراتيجية ومنها سورية التي استطاع رئيسها الراحل حافظ الاسد ان يوظف موقعها الجغرافي ويعطي لسورية دورا عربيا واقليميا ودوليا اكبر من امكاناتها الاقتصادية والعسكرية مقارنة مع وضعها الحالي الذي بدأ يتضاءل كثيرا.

كما ان الانفراد الامريكي على الساحة الدولية ومحاولتها الهيمنة على العالم واستبدال سياستها من الترغيب إلى الترهيب واستخدام القوة العسكرية لتغيير الأنظمة السياسية قد جعل امريكا تنظر إلى القيمة الستراتيجية لأي دولة في منطقة الشرق الاوسط بقدر انضوائها في عملية التسوية مع (إسرائيل) ومدى استجابتها للاملاءات الامريكية ومن هنا فقد أوقع التشبث السوري بالموقع الحيوي وعدم التفريط بالدور الاقليمي العلاقات السورية – الامريكية في اشكالية بالغة التعقيد لاسيما بعد التقاطع في التوجهات بين الجانبين بعد احتلال امريكا للعراق عام ٢٠٠٣ وتداعيات اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الاسبق رفيق الحريري. وقد جاء هذا البحث محاولة متواضعة لاستقراء السياسة الامريكية حيال سورية من خلال الاجابة على الاسئلة التالية:-

أولاً: ما أهمية الموقع الجيوستراتيجي السوري في السياسة الامريكية ؟

ثانيا: ما هو التغيير الذي حصل في العلاقات الامريكية السورية ؟ ولماذا ؟

ثالثا: لماذا القرار ١٥٥٩ ؟ وما هي تداعيات اغتيال الرئيس رفيق الحريري؟

رابعا: ما هي الاتجاهات المستقبلية للسياسة الامريكية حيال سورية؟

(*) مدرس كلية العلوم السياسية –الجامعة المستنصرية

أولاً: أهمية الموقع الجيوستراتيجي السوري في السياسة الامريكية.

لاشك ان ما تتمتع به سورية من موقع **جيوستراتيجي** باعتبارها الجسر البري الذي يربط أوربا بالشرق وكثيرا ما كانت الارض السورية ميدانا للمعارك بين القوى الدولية المتنافسة والمتصارعة فيما بينها عبر التاريخ قد اغرى الولايات المتحدة التي كانت تبحث عن مناطق لمد نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري لاسيما بعد اشتداد التنافس الدولي حول النفط في المنطقة العربية. (١)

وازداد التنافس على المنطقة العربية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كقوتين عظميين في اعقاب الحرب العالمية الثانية واقتران هذا التنافس بالصراع العقائدي بين القطبين فيما عرفت بالحرب الباردة حيث اخذ كل طرف يسعى إلى توسيع مناطق نفوذه وحماية مصالحه والحيلولة دون انتقال نفوذ الطرف الاخر إلى مناطق نفوذه.

وفي ضوء ذلك سعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إلى زيادة اهتمامهما بسورية وخاصة بعد الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني على ارض فلسطين عام ١٩٤٨، وبدء الصراع العربي- الاسرائيلي وانعكاسات القضية الفلسطينية لتدخل سورية كقطر عربي مجاور لفلسطين ضمن مؤامرة غربية قادتها الولايات المتحدة والتي اصبحت فيما بعد مدافعة عن هذا الكيان وراعية له وتدفع باتجاه خلق اوضاع قائمة على المحافظة على أمن الكيان الصهيوني وفرض قبول الامر الواقع على الدول العربية ومنها سورية.(٢)

ان تمتع سورية بموقع جيوستراتيجي قد جعلها محل اهتمام الولايات المتحدة التي بدات تبحث عن مد نفوذها وتكثيف تحالفاتها بعد الحرب العالمية الثانية ولملىء الفراغ في المنطقة بعد انحسار النفوذ الفرنسي والبريطاني ولاسيما ان سورية تعكس في تركيبها السياسي الداخلي منافسات جيرانها وخصوماتهم وانطلاقا كما يرى (باتريك سيل) ان من يقود الشرق الاوسط لابد له من السيطرة على سورية بسبب موقع سورية الستراتيجي فهي تشرف على الممرات الشمالية الشرقية الموصلة إلى مصر وعلى الطريق البري ما بين العراق والبحر المتوسط وعلى شمال الجزيرة العربية والحدود

---

(١) د. إبراهيم سعيد البيضاني، السياسة الامريكية في سوريا ١٩٣٦- ١٩٤٩ بغداد، دار الكتب والوثائق، ٢٠٠٠، ص١٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٥.

الشمالية للعالم العربي اضافة إلى ان سورية تتمتع بمركز مراقبة جيد يمكن منه رصد سياسات الدول الكبرى ومركز المنافسات بين الدول العربية[٣].

وبموجب تلك الاهمية الكبيرة لموقع سورية فلا بد ان تحظى بقدر كبير ضمن دائرة الاهتمام الامريكي الذي بدأ يتصاعد بعد اكتشاف النفط في منطقة الخليج العربي ومد خط انابيب النفط عبر الاراضي السورية إلى موانيء البحر المتوسط. وهذه الحقيقة افصح عنها رئيس جمعية اصدقاء الشرق الاوسط في واشنطن بقوله ان احد عوامل اهتمام الولايات المتحدة بالشرق الاوسط هي العوامل السوقية والاقتصادية التي تتجلى باستغلال نفط المنطقة الذي يشكل خمسين بالمائة من انتاج العالم[٤]وبذلك اصبح الشرق الاوسط يحتل أهمية ستراتيجية ويرتبط بالدفاع عن مصالح الغرب وخاصة الولايات المتحدة من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية[٥].

وضمن هذا السياق فقد سعت الولايات المتحدة بعد انشاء حلف الناتو عام ١٩٤٩ إلى تأسيس احلاف اقليمية تشمل منطقة شرق البحر المتوسط ومحاولتها دمج سورية ولبنان ومصر والاردن والعراق اضافة إلى تركيا واليونان و(اسرائيل) فيها وكان هدفها هو حماية منابع النفط مع كل من بريطانيا وفرنسا[٦].

وعلى هذا الاساس فقد لوحظ زيادة انغماس الولايات المتحدة في التدخل في شؤون سورية الداخلية في اطار سياسة التنافس مع الاتحاد السوفيتي الذي كان هو الاخر يحاول زيادة تواجده في المنطقة العربية بغية الحد من النفوذ الغربي والامريكي من ناحية ولحماية امنه القومي من ناحية ثانية، وبقدر تعلق الأمر بسورية فانها تعد اقرب المناطق للاعداد العسكري من البحر الاسود إلى منطقة الخليج العربي وعمقا لقاعدة الهجوم المعادي للاتحاد السوفيتي في حالة تجاوز الحدود الجنوبية لتركيا[٧].

والواقع ان التنافس الحاد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي طيلة الحرب الباردة ومحاولتهما استمالة وكسب سورية إلى دائرة نفوذهما قد أثر ايجابيا على حركة السياسة الخارجية السورية ومنحت سورية امكانية توظيف حالة التناقض والتنافس التي كانت سائدة بين القطبين لصالحها حيث نجح الرئيس السوري الراحل حافظ الاسد في استثمار ذلك عبر اعتماد سياسة المناورة والتوازن بين هذا الطرف وذاك ففي الوقت الذي يبدو للمراقب بان سورية تحاول الابتعاد عن الاتحاد السوفيتي كوسيلة للحصول

---

(٣) باتريك سيل، الصراع على سورية، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة، بيروت، دار الانوار، ط١، ١٩٦٨ص ص١٤-١٥.

(٤) د. إبراهيم سعيد البيضاني، مصدر سبق ذكره، ص ص٥-٦.

(٥) المصدر نفسه، ص٦.

(٦) ولمزيد من التفاصيل حول ذلك انظر: المصدر نفسه ص١٤٥ وما بعدها.

(٧) عارف محمد خلف، أثر المتغيرات الدولية الجديدة على السياسة الخارجية السورية١٩٨٥-١٩٩٥، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص٦٧.

على المساعدات الاقتصادية أو الحصول على السلاح أو الضمان الامني عبر التهديد بالاقتراب من الاتحاد السوفيتي فأنه يدفع الولايات المتحدة إلى الاعتراف بدور سورية الاقليمي في المنطقة العربية[٨].

فعلى سبيل المثال عندما تأزمت العلاقة السورية- السوفيتية في ضوء التدخل العسكري السوري في لبنان عام ١٩٧٦[٩]، حاولت الولايات المتحدة استثمار ذلك التوتر بالشكل الذي يبعد سورية عن الاتحاد السوفيتي ويأتي ذلك على خلفية التقارب الامريكي- السوري الذي تجسد في المباركة الامريكية للتدخل العسكري السوري في لبنان عندما اعطي ضوء اخضر امريكي لسورية بوجوب هذا التدخل[١٠].

وجاءت تصريحات الناطق باسم الخارجية الامريكية (تشارلز ردمان) انذاك التي اعلن فيها (ان لسورية دورا تاريخيا يجب ان تقوم به في المنطقة وان الولايات المتحدة لاتزال مستعدة للتعاون مع دمشق في بحث المسائل الاقليمية)[١١] لتؤكد حقيقة مفادها ان الولايات المتحدة يجب ان تتعامل مع سورية بصفتها اللاعب الاقليمي المهم في المنطقة وان هناك امكانية لايجاد تفاهم امريكي- سوري حول قضايا المنطقة المهمة ومنها قضية الصراع العربي الصهيوني وما يطرح من مقترحات بشأن أي مؤتمر سلام حول هذا الصراع وضرورة اشتراك سورية فيه.

وبعد احلال سياسة مبدا توازن المصالح من قبل الاتحاد السوفيتي محل مبدا توازن القوى وبروز تغيير في السياسة السوفيتية وانعكاس ذلك على العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وسورية حيث بدأت بعض المشاكل تظهر بين الجانبين لعل من ابرزها مطالبة الاتحاد السوفيتي سورية بالوفاء بالتزاماتها المالية المستحقة لديها كثمن للاسلحة التي ابتاعتها خلال السنوات الماضية وتلويحه بإمكانية خفض إمداداته العسكرية إليها لعدم قدرتها على السداد[١٢].

ومن هنا فقد ادركت سورية بان عليها الاستجابة لهذا الواقع الجديد لاسيما بعد التغييرات التي حصلت في أوربا الشرقية بانهيار الأنظمة الشيوعية وهدم جدار برلين بشكل دراماتيكي ومتسارع وتراجع الدور العالمي للاتحاد السوفيتي وبداية الانفراد

---

(٨) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٩) عمل الاتحاد السوفيتي على ايقاف امداد سورية بالاسلحة في ضوء هذا التدخل حتى عام ١٩٧٨، ولمزيد من التفاصيل انظر: باتريك سيل، الاسد، الصراع على الشرق الاوسط، لندن، دار الساقي، ١٩٨٨، ص٤٦٤، وما بعدها.

(١٠) للتفاصيل حول ذلك انظر، عارف محمد خلف، مصدر سبق ذكره، ص١٧٠، وما بعدها.

(١١) نقلا عن، عبد الله التركماني، الدور الجديد للنظام السوري في التسوية، مجلة شؤون سياسية، العدد (٢) بغداد، مايس ١٩٩٤، ص١٠٥.

(١٢) كان مجموع ديون سورية للاتحاد السوفيتي سابقا والدول الاشتراكية من ١٤- ١٥ مليار دولار. military balance 1990- 1991. p 118.

الأمريكي، وهذا ما انعكس بشكل واضح في التخلي عن سياسة التوازن التي اعتمدتها حيال القوتين العظميين وان تتكيف مع واقع الانفراد الامريكي من خلال ابداء المرونة في مواجهة (اسرائيل) واستعداد الرئيس السوري حافظ الاسد لاجراء محادثات مناسبة مع الإسرائيليين تحت ظروف مناسبة كما أعلن عن ذلك الرئيس الامريكي الاسبق (جيمي كارتر)[١٣]، كذلك موافقة سورية في الانخراط في المشاركة العسكرية مع الولايات المتحدة في الحرب على العراق عام ١٩٩١.

ويرى المسؤولون الامريكيون بان هذه المشاركة السورية في الحرب مهمة على اعتبار إنها عززت المصالح الامريكية في المنطقة وكما جاء بقول وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (جيمس بيكر) بعد قيامه بعدة لقاءات في سورية (نحن توجد لدينا علاقات وثيقة فقط مع البلدان التي ساهمت في قيمنا الاساسية)[١٤].

ومن الواضح ان الولايات المتحدة قدمت بعض الاغراءات إلى الرئيس حافظ الاسد لضمان مشاركته في الحرب على العراق عام ١٩٩١ منها تأكيد الرئيس الامريكي الاسبق جورج بوش حول اهتمام واشنطن بالمخاوف الامنية والمصالح الحيوية السورية وذلك خلال قمة بوش- الاسد في جنيف في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٩٠ حيث اشار البيان الامريكي إلى (أهمية التقدم في عملية السلام تمشيا مع القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ والى التصميم على اعطاء الدفع والزخم اللازمين لها بعد انتهاء أزمة الخليج)[١٥].

ويمكن القول بان ما حصلت عليه سورية من مشاركة امريكا في الحرب يكمن فيما يلي:-

١- احكام القبضة السورية على لبنان بعد اعطاء امريكا الضوء الاخضر لسورية وذلك بقيام القوات السورية المتواجدة في لبنان بشن هجوم على قوات الجنرال ميشال عون رئيس الحكومة اللبنانية المؤقتة واضطراره اللجوء إلى السفارة الفرنسية في بيروت ومغادرة لبنان إلى فرنسا.

٢- اشتراك سورية في مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ لتسوية الصراع العربي الاسرائيلي.

٣- الابقاء على الدور الاقليمي لسورية.

---

(١٣) انظر، Daniel pipes, Is Damascus Ready for peace / Foreign Affairs, vol, 10, Fall 1991, p 40 .

(١٤) نقلا عن: عارف محمد خلف، مصر سبق ذكره، ص١٧٢.

(١٥) صحيفة تشرين السورية، العدد (٥٨٣٨) في ١٩٩٤/١/١٥.

التغيير في العلاقات الامريكية- السورية

ان السمة الغالبة التي ميزت العلاقات الامريكية- السورية طيلة مدة حكم الرئيس الراحل حافظ الاسد تراوحت بين الشد والجذب تبعا للتطورات السياسية الدولية والاقليمية والعربية ففي الوقت الذي كان فيه الاسد ناقداً للسياسة الامريكية في المنطقة بسبب انحيازها الكامل لاسرائيل فانه يتطلع إلى تحسين علاقات سورية معها انطلاقا من إدراكه بانه لايمكن اجراء اية تسوية سياسية للصراع العربي- الاسرائيلي من دون تأثير الضغط الامريكي على (اسرائيل)، وبالمقابل فان الولايات المتحدة لايمكن ان تتغافل عن الدور السوري في المنطقة العربية وتأثيرها على مجمل قضاياه العالقة، وان اية تسوية محتملة للصراع العربي- الاسرائيلي لايمكن ان تتم ويكتب لها النجاح من دون مشاركة سورية فعالة تأخذ بعين الاعتبار المطالبة السورية باستعادة الاراضي السورية المحتلة المتمثلة في مرتفعات الجولان منذ حرب ١٩٦٧، وان هذه التسوية يمكن ان تؤثر على دعم سورية لحزب الله اللبناني والمنظمات الفلسطينية المتواجدة على الاراضي السورية.

وقد عبرت الولايات المتحدة عن اهتمامها بالدور السوري وبتحريك الملف السوري- الاسرائيلي من خلال رسالة التطمينات إلى سورية بعدم موافقة الادارة الامريكية على ضم الجولان لاسرائيل والتزامها بالرسالة التي كان الرئيس الأمريكي الأسبق جيرالد فورد قد قدمها إلى القيادة السورية عام ١٩٧٥ والتي اكد فيها اقرار الولايات المتحدة بالسيادة السورية على الجولان[١٦].

وكذلك في تأكيد الرئيس الامريكي السابق بيل كلينتون في رسالته إلى الرئيس الاسد في ١٩٩٣/٢/٦ التزام الولايات المتحدة مساعدة الاطراف على انجاح العملية السلمية وتعهدها بالتعاون مع الاسد في مسيرة التسوية[١٧].

وازاء التغير الحاصل في ميزان القوى العربي- الاسرائيلي نتيجة الحرب على العراق عام ١٩٩١ فقد ادرك الرئيس حافظ الاسد بان عليه القبول بالامر الواقع والدخول في مفاوضات مباشرة مع (اسرائيل) تحت رعاية الولايات المتحدة باعتبارها الشريك الكامل في المسار السوري- الاسرائيلي، حيث كانت مراهنة الرئيس الاسد تستند الى رؤية مفادها ان امكانية استعادة مرتفعات الجولان تتوقف على مدى تاثير الضغط الامريكي على (اسرائيل) فحسب.

وعلى هذا الاساس فأنه على الرغم من الاستعداد السوري للتوصل إلى تسوية سياسية مع (اسرائيل) فانه لم يلاحظ قيام الولايات المتحدة بدور الشريك الكامل والفاعل في الجولات العشر التفاوضية بين سورية و(اسرائيل) بسبب تاثير ضغط

---

(١٦) عبد الله التركماني، مصدر سبق ذكره، ص١٠٦-١٠٧ .

(١٧) المصدر نفسه، ص١٠٧.

اللوبي الصهيوني على الادارة الامريكية والقيام بتحريضها على اتخاذ مواقف سلبية من سورية وتخريب عملية السلام[١٨].

وجاء اغتيال رئيس الوزراء الاسبق إسحاق رابين في الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩٩٥ ليضع حدا للمفاوضات السورية- الاسرائيلية والتي انهارت تماما خلال مؤتمر القمة الثنائي في جنيف بين الرئيس السوري حافظ الاسد وبيل كلينتون الرئيس الامريكي السابق في ٢٦ أذار ٢٠٠٠ حيث رفض الاسد المقترح الذي تقدم به كلينتون والقاضي بعدم انسحاب (اسرائيل) كليا من الجولان والاحتفاظ بشريط من الاراضي شرق الشاطيء الشمالي الشرقي لبحيرة طبريا كان خاضعا للسيادة السورية قبل ٤ حزيران ١٩٦٧[١٩].

وهذا يعني ببساطة تخلي سورية عن مطالبتها بالسيادة على بحيرة طبريا الأمر الذي حدا بالاسد إلى رفض مناقشته كما رفض تقديم عرض مضاد قائلا (باراك لايريد السلام)[٢٠]، وبذلك فقد تم اغلاق المسار السوري الاسرائيلي.

ويمكن القول انه بموت الرئيس حافظ الاسد عام ٢٠٠٠ فانه تم اختتام مرحلة مهمة في العلاقات الامريكية- السورية استطاع الاسد فيها ان يجد لسورية دورا اقليميا مؤثرا فيها.

وبتولي الرئيس بشار الاسد السلطة في سورية دخلت العلاقات الامريكية السورية في اتجاه اخر وخاصة بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ التي راح ضحيتها حوالى ثلاثة ألاف شخص وتدمير برجي التجارة العالمية في نيويورك والتي تم توظيفها من قبل الرئيس الامريكي جورج بوش (الابن) في سياسته الخارجية ومجالا لدور امريكي جديد في القرن الحادي والعشرين من خلال اعتماد سياسة القوة بدلا من الدبلوماسية[٢١].

---

(١٨) اتهم بعض المسؤولين السوريين اللوبي الصهيوني بتخريب العلاقة بين دمشق وواشنطن راجع نصوص هذه الاتهامات: عارف محمد خلف، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٩.

(١٩) انظر، تقرير سورية في ظل بشار الاسد التحديات السياسية الخارجية، المجموعة الدولية لمقاربة الازمات ICG.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) لمزيد من التفاصيل حول تلك السياسة راجع: نصير عاروري، حروب جورج دبليو بوش (الوقائية) بين مركزية الخوف وعولمة ارهاب الدولة، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٩٧) ١١/ ٢٠٠٣، ص١١ وما بعدها.

وقد عززت احداث ايلول مواقع العناصر الرافضة للسياسة الامريكية التقليدية في منطقة الشرق الاوسط واكدت على محاربة (الارهاب)[٢٢].

وجاء غزو الولايات المتحدة أفغانستان عام ٢٠٠١ وغزوها العراق عام ٢٠٠٣ليؤكد حقيقة مفادها ان سياسة اسقاط الانظمة المعادية للولايات المتحدة في عالم سمته الارتباك والفوضى والتحول بدل الدخول في سلسلة من الاجراءات الوقائية السياسية والاقتصادية المكلفة وغير مضمونة النتائج انما هي رسالة تريد الادارة الامريكية توجيهها إلى كل الانظمة التي قد تفكر في تحدي زعامتها وهيمنتها[٢٣].

ومما لاريب فيه فقد احدث الاحتلال الامريكي للعراق تحديا خطيرا لسورية بخسارة عمقها الستراتيجي ووضعها امام استحقاقات جديدة حيث التواجد العسكري الامريكي في العراق من ناحية والتفوق العسكري الاسرائيلي من ناحية أخرى الأمر الذي عرض سورية للانكشاف الامني بشكل خطير.

وقد اطلق وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسفيلد)في الاسبوع الأول من احتلال العراق رسالة بهذا المعنى عبر التهديد العلني لسورية، كما اختار (كولن باول) وزير الخارجية الامريكي السابق ان يطلق تهديده لسورية من على منبر اللقاء السنوي لايباك (الهيئة الاسرائيلية الامريكية للعلاقات العامة) ووفقا لوكالة (UPI) فأن خطة طارئة لنقل مسرح الحرب إلى سورية قد ابطلته (كونداليزا رايس) مستشارة الامن القومي سابقا بموافقة الرئيس بوش وكانت الخطة قد وضعت من قبل دوغلاس فايث مساعد وزير الدفاع للسياسة وبموافقة رامسفيلد وتحريض ولفوويتز مساعد وزير الدفاع الاسبق وهم جميعا من انصار حزب الليكود الاسرائيلي[٢٤] وتتابع الوكالة تقريرها:

ان اخر تحريض للبنتاغون على مجابهة دمشق تعزز بزيارة مستشار الامن القومي الاسرائيلي (افراين هاليفي) الى واشنطن بين ١٢ و ١٤ نيسان ٢٠٠٣ حيث اقترح مع (دوف وايسغلاس) احد كبار مساعدي شارون ليقترحا ان تتولى واشنطن أمر ايران وسورية أيضا بسبب دعمهما للارهاب وتطويرهما اسلحة دمار شامل، إلا

---

(٢٢) بعد ساعات من هجوم ١١ ايلول صدر اعلان جورج بوش الحرب على (الارهاب) الذي دشن به بداية استراتيجية جديدة لاعادة رسم خريطة الشرق الاوسط ووسط آسيا لتوسيع رقعة الهيمنة الامريكية والتفاصيل انظر، المصدر نفسه، ص٣١.

(٢٣) ادريس لكريني، الزعامة الامريكية في عالم مرتبك، مقدمات الريادة واكراهات التراجع، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٩١) ٢٠٠٣/٥، ص٢٧.

(٢٤) Richard Sale, "Rice Bloked plan for Raids on Syria (United press International [UPI} 2/5/2003.
نقلا عن نصير عاروري، مصدر سبق ذكره، ص٢٢.

ان رايس كررت تأكيدها بانه لن تكون هناك مغامرة عسكرية أخرى في الفترة الأولى من رئاسة بوش[٢٥].

وغني عن الذكر ان الولايات المتحدة قد اتهمت سورية بأيوائها مسؤولين من النظام السابق وان لديها بعض اسلحة الدمار الشامل العراقية وانها تسهل عبور المتطوعين للقتال في العراق وما تم تلميحه من قبل وزير الدفاع الامريكي رامسفيلد لما زعم من امدادات عسكرية سورية للعراق ووصفها بالاعمال المعادية ويجب ان تحاسب سورية عليها، وما نقل عن مسؤول امريكي قوله (نحن حاليا نحاول اخافتها على امل ان تغير سلوكها)[٢٦].

كذلك ما اوضحه صناع القرار الأمريكيين بان الولايات المتحدة ستستمر بالضغط على سورية وعزلها ما لم تغير سياستها جذريا حيال العراق والصراع العربي الاسرائيلي فهناك مثلا عدم وفاء الرئيس السوري بشار الاسد بتعهداته حول اغلاق امداد النفط العراقي عبر الاراضي السورية عام ٢٠٠١ الذي ساهم في فقدان ثقة واشنطن بالاسد وضروة التعامل القاسي معه وهذا واضح من خلال الرسالة التي بعثها وزير الخارجية الامريكي السابق كولن باول إلى القادة السوريين بتاريخ ٣ مايس ٢٠٠٣ بقوله (انتم في الجانب الخاسر فقد خسرتم عائدات العراق والولايات المتحدة تقوم بجهد لعملية سلام لا تشملكم وليس هناك أي زعيم عربي الح علينا من حضوركم قمة شرم الشيخ في ٢حزيران ٢٠٠٣ بامكانكم تغيير سياستكم بما يخص العراق والصراع الفلسطيني الاسرائيلي والانضمام إلى التحالف المعادي للارهاب وفي هذه الحالة يمكن ان تكونوا جزءا من عملية السلام وبامكانكم أيضا ان تستمروا فيما انتم عليه فيتم تجاوزكم لقد غادر القطار المحطة الخيار لكم ولن نستجديكم)[٢٧].

ويفهم من هذا العرض الامريكي لسورية انه الخيار الاخير بين التعاون أو المواجهة على خلفية الموقف السوري الرافض للاحتلال الامريكي للعراق وعدم الاستجابة السورية لامريكا لاحكام سيطرتها على العراق بعد ان اخذت القوات الامريكية تلاقي صعوبات كبيرة نتيجة تصاعد العمليات العسكرية ضدها وهذه الدعوة الامريكية لسورية هي جزء من محاولة الادارة الامريكية لزج دول الجوار العراقي للمساعدة في الخروج من المأزق العسكري الذي وقعت فيه.

وأزاء الرفض السوري لهذا العرض الامريكي فقد كان من المتوقع ان تلجأ الولايات المتحدة إلى خيار التصعيد وتأزيم العلاقات مع سورية والتي كانت اولى

---

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) نقلا عن، The Washington post 15 April 2003.

(٢٧) ICG middle East Report N'1, Old Games new Rulers: conflict on the Israel_ Lebanon Border, 18 November 2002, p 13.

بوادرها تكمن في مصادقة الرئيس الامريكي بوش (الابن) في ١٢ كانون الأول ٢٠٠٣ على قانون محاسبة سورية الذي يدين سورية على دعمها للفصائل الفلسطينية وسماحها للمتطوعين بالتسلل إلى العراق وتطويرها اسلحة الدمار الشامل ووجودها في لبنان، بقصد احداث تاثير في السياسة السورية حيال هذه القضايا، يحظر القانون الصادرات العسكرية والصادرات ذات الاستخدام المزدوج إلى سورية ويقترح على الرئيس قائمة بانواع الحظر وعليه ان يختار اثنان منها على الاقل[٢٨]

وهكذا فقد لوحظ ان العلاقات الامريكية-السورية اخذة في التوتر بعد ان تقلصت فرص الحوار وبدأت الولايات المتحدة تصعد من لهجتها ضد سورية من خلال اللجوء الى تحريك اوضاع جديدة في المنطقة كالوجود العسكري في لبنان والملف الايراني وموضوع حزب الله في لبنان تحت ذريعة ما يسمى بمكافحة الارهاب. وكانت الاولوية هي انهاء الوجود العسكري في لبنان وهي محاولة امريكية لاعادة سورية الى حدودها الجغرافية المحضة واخراجها من أي دور اقليمي وعربي لها وارجاعها الى ان تكون تماما على الطراز العراقي لو نجح.[٢٩]

ثالثا: القرار ١٥٥٩ وتداعيات اغتيال رفيق الحريري

جاء قرار مجلس الامن الدولي الرقم (١٥٥٩) في ايلول ٢٠٠٤ الذي نص على انسحاب القوات السورية من لبنان واجراء الانتخابات اللبنانية في موعدها المقرر في مايس ٢٠٠٥ ونزع سلاح الميليشيات في لبنان في اطار الضغوط الامريكية المتواصلة على سورية على خلفية الاتفاق الامريكي- الفرنسي باخراج القوات السورية من لبنان بعد محاولة امريكية لاسترضاء فرنسا التي رفضت الاحتلال الامريكي للعراق، فامريكا تسعى الى اعادة الصف الاوربي الى جانبها بهدف الحصول على مساعدة اوربية عسكرية او على الاقل مالية للعراق والى خفض العبء الذي تتحمله امريكا جراء احتلالها للعراق بمفردها وبالمقابل اعطاء دور فرنسي في المنطقة من خلال البوابة اللبنانية، اضافة الى ذلك هناك رغبة فرنسية في انهاء النفوذ السوري في لبنان بعد ان ادرك الرئيس الفرنسي جاك شيراك ان علاقات الصداقة كانت بالنسبة الى بشار الاسد جادة في اتجاه واحد فالرئيس السوري لم يكن ينصت لنصيحته فقط بل كان

---

(٢٨) تشمل القائمة ستة انواع ١- حظر جميع الصادرات عد الغذاء والدواء. ٢- حظر الاستثمار الامريكي في سورية. ٣- تقييدات صارمة لسفر الدبلوماسيين السوريين الى الولايات المتحدة. ٤- حظر دخول الطائرات السورية إلى الولايات المتحدة. ٥- تخفيض العلاقات الدبلوماسية إلى مجرد اتصالات ضرورية لحماية مصالح الولايات المتحدة. ٦- تجميد جميع المعاملات التجارية للحكومة السورية في الولايات المتحدة الامريكية انظر : ICG, opcit.

(٢٩) كمال خلف الطويل: حلقة نقاشية حول تقييم الانتخابات الامريكية ٢٠٠٤، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٠) ٢٠٠٤/١٢، ص ٦٩.

يتصرف في الاتجاه المعاكس على نحو يزيد من هيمنته على لبنان على النحو الذي برهن عليه مد ولاية الرئيس اللبناني اميل لحود واخيرا فان دمشق منحت لشركات امريكية عقدا مهما في مجال الطاقة بينما تجاهلت عرضا من مؤسسة توتال الفرنسية ينطوي على مزايا اكثر الامر الذي علق على ذلك جاك شيراك بقوله (ان الاسد يكافئ اعداءه فحسب).(٣٠)

اما بالنسبة لامريكا فتهدف من وراء الخروج السوري الى تحجيم وعزل سورية واجبارها على ان تكون اكثر تعاونا مع القوات الامريكية الموجودة في العراق اضافة الى تخفيف الضغوط الممكنة على (اسرائيل) التي ترفض التخلي عن مرتفعات الجولان.(٣١)

اما رد الفعل السوري لهذا القرار فقد جاء على لسان الرئيس بشار الاسد حيث وجه في خطاب له انتقادات له لانه مخالف لميثاق الامم المتحدة ورفض اتهامات برغبة دمشق في الهيمنة على لبنان محذرا من ان جهات اجنبية تريد القذف بلبنان وسورية في قلب الحمم داخل البركان القائم في الشرق الاوسط.(٣٢)

وغني عن الذكر ان تعديل الدستور اللبناني الذي جاء بناءا على الرغبة السورية الرافضة للضغوط الامريكية والفرنسية المطالبة بعدم تعديل الدستور والذي سمح بتمديد فترة رئاسة الرئيس اللبناني امين لحود ثلاث سنوات قد شكل بداية تفجير الازمة اللبنانية وتحجيم الدور السوري في لبنان حيث استقال رفيق الحريري من رئاسة الوزارة احتجاجا على هذا التعديل وتم تكليف الامين العام للامم المتحدة (كوفي انان) بمتابعة الموقف في لبنان والمطالبة بالانسحاب السوري من لبنان.(٣٣)

ويأتي اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري في ١٤ شباط ٢٠٠٥ ليزيد العلاقات الامريكية- السورية تأزمات وتعقيدا بعد ان تمكنت الولايات المتحدة من توظيف هذا الحادث لصالحها بتسليط المزيد من الضغوط على سورية والتي كانت من اهم تداعياتها هي ما يلي:

١- الاستجابة السورية الفورية بسحب جميع القطعات العسكرية من الاراضي اللبنانية والذي استكمل قبيل بدء الانتخابات اللبنانية بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢٩.(٣٤)

---

(٣٠) للتفاصيل انظر: ايرك رولو، سياسة فرنسا الخارجية بين الولايات المتحدة والوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٩) ٢٠٠٥/٩، ص ص ٥٣- ٥٤.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٣٢) مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٠)، ٢٠٠٤/١٢، ص ٢٢٠.

(٣٣) محمود صالح الكروي، لبنان بين تداعيات الانسحاب السوري والانتخابات التشريعية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٦) ٢٠٠٥/٦، ص ص ٣٩-٤٠.

(٣٤) وجه فاروق الشرع وزير الخارجية السوري رسالة الى الامين العام للامم المتحدة ابلغه فيها بانسحاب كامل القوات السورية من لبنان والتزام دمشق بما يتعلق بها من القرار (١٥٥٩). انظر: مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٦) ٢٠٠٥/٦، ص ٢١٨.

٢- تشكيل لجنة تحقيق دولية برئاسة القاضي الالماني (ديتليف ميليس) للنظر في ملابسات اغتيال رفيق الحريري ومطالبة امريكا المسؤولين السوريين بالتعاون التام مع هذه اللجنة.

٣- تأثير الانسحاب السوري على العلاقة المباشرة بين حزب الله وسورية وجعل العلاقة مع حزب الله يمر عبر القناة الايرانية فاي حركة يقوم بها حزب الله في ظل علاقته بسورية سوف ينعكس سلبا عليهما.[٣٥]

٤- تأزم العلاقات بين سورية ولبنان في ضوء اتهام بعض الاحزاب والكتل اللبنانية بمسؤولية سورية عن اغتيال رفيق الحريري والى الحد الذي طالب فيه بعض الزعماء اللبنانيين بتغيير النظام السوري.

٥- التدخل الامريكي المباشر في الشأن اللبناني من خلال الضغوط على مبعوث الامم المتحدة (تيري رود لارسن) ومحاولة تسييس لجنة التحقيق الدولية ومنحها المزيد من الصلاحيات وتخويلها مساءلة أي مسؤول سوري بما فيه الرئيس السوري بشار الاسد.

٦- اجبار سورية على اتخاذ بعض الاجراءات الامنية على الحدود مع العراق لمنع تسلل المتطوعين للقتال ضد القوات الامريكية حيث اقامت سورية اكثر من (٥٠٠) مخفر للحراسة ونشرت (٧٥٠٠) عسكري على طول الحدود العراقية-السورية.[٣٦]

وعلى الرغم من قيام سورية بهذه الاجراءات الامنية على الحدود مع العراق فان الضغوط الامريكية عليها مستمرة وتتوالى الاتهامات ضدها بشأن الاوضاع المتفاقمة في العراق حيث اعتبر وزير الدفاع العراقي سعدون الدليمي ان معظم السيارات المفخخة التي تنفجر في العراق تاتي من سورية.[٣٧] وعلى العكس من ذلك يعتقد السوريين بان الأمريكان لايريدون ان يتم ضبط الحدود حيث يرى الرئيس السوري بشار الاسد بانه (لنا مصلحة في سورية في ضبط الحدود مع العراق بمعزل عن المطالب الامريكية) وبدون تعاون من قبل الجانبين فانه (لايمكن ضبط الحدود من جانب واحد).[٣٨]

اما بشأن التحقيق في قضية اغتيال الحريري فان سورية باتت اكثر استعداداً للتعاون مع لجنة التحقيق الدولية حيث اعلن الرئيس السوري بشار الاسد في حديثه

---

(٣٥) محمود صالح الكروي، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.
(٣٦) انظر : مجلة المستقبل العربي العدد (٣١٨) ٨/:٢٠٠٥، ص ٢٠٣.
(٣٧) انظر : مجلة المستقبل العربي العدد (٣١٩) ٩/:٢٠٠٥، ص ١٨٨.
(٣٨) حديث الرئيس السوري بشار الاسد الى محطة تلفزيون (سكاي نيوز). التركية بتاريخ ٢٧-١٢-٢٠٠٥. انظر: قناة سورية الفضائية في ٢٠٠٥/١٢/٢٧.

لمجلة دير شبيغل الالمانية استعداد سورية لتسهيل مهمة لجنة التحقيق الدولية موضحا ان بامكان ميليس استجواب من يريد من المواطنين السوريين.[٣٩]

وبالفعل فقد تمت الاستجابة السورية لطلب لجنة التحقيق الدولية بارسال عدد من المسؤولين الامنيين ومنهم رستم غزالة مسؤول جهاز الامن والاستطلاع السابق في لبنان الى فيينا حيث انهت لجنة التحقيق الدولية في اغتيال رفيق الحريري الاستماع الى شهاداتهم على الرغم من التلكؤ في الاستجابة حول ارسالهم الذي ذكره ميليس في تقريره الذي قدمه الى مجلس الامن الدولي في ١٢/١٣/ ٢٠٠٥.[٤٠]

والواقع ان هذه الاستجابة كانت بتاثير قرار مجلس الامن الدولي المرقم ١٦٣٦ ويستند الى الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة يطالب سورية بالتعاون الكامل واللامشروط مع لجنة التحقيق الدولية في اغتيال رفيق الحريري ويؤكد القرار انه (يجب على سورية ان تعتقل المسؤولين او الاشخاص السوريين الذين تعتبر لجنة التحقيق الدولية انه يشتبه بضلوعهم في اغتيال الحريري وان تجعلهم متاحين للجنة بالكامل).[٤١]

وفي اطار الضغوط التي تعرضت لها سورية حول الجدل الدائر بشأن قضية اغتيال الحريري تأتي التصريحات التي اطلقها عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري السابق من باريس مقر اقامته مع قناة العربية الفضائية مساء ٢٠٠٥/١٢/٣٠ والتي وجه فيها سيلا من الانتقادات الى نظام الحكم في سورية والى الرئيس بشار الاسد ووزير الخارجية فاروق الشرع ورئيس جهاز الامن والاستطلاع السابق في لبنان رستم غزالة مشيرا الى ان رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري قد تلقى تهديدات سورية قبل اغتياله.[٤٢]

والواقع انه بغض النظر عن صدقية او عدم صدقية الاتهامات التي وردت على لسان عبد الحليم خدام بشأن اغتيال الحريري فان توقيت تلك التصريحات في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها سورية يشكل تحديا اضافيا لها يمكن توظيفه لصالح الاجندة الامريكية المتخذة ضد سورية.

---

(٣٩) نقلا عن مجلة المستقبل العربي العدد (٣٢٠) ٨١٠/:٢٠٠٥، ص ص ٢١٦-٢١٧

(٤٠) كان للسعودية دورا مهما في الوساطة مع فرنسا والامين العام للامم المتحدة في حل الاشكالية بين سورية ولجنة التحقيق حول المكان الذي يتم فيه استجواب المسؤولين السوريين من قبل اللجنة حيث تم الحصول على حل وسط وهو فينا. وللتفاصيل انظر مجلة المستقبل العربي، العدد (٣٢٣) ١/ ٢٠٠٦، ص ١٧٤.

(٤١) المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٤٢) لمزيد من التفاصيل انظر قناة العربية الفضائية مساء يوم ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٥.

رابعا: الاتجاهات المستقبلية:

في ضوء ما تقدم يمكن ان نضع تصورنا حول اتجاهات السياسة الامريكية حيال سورية خلال المرحلة القادمة وفق ما يلي:

١-الاتجاه الاول: التصعيد

يتمثل في لجوء الولايات المتحدة الى اعتماد سياسة المواجهة والتصعيد ضد سورية وهذا يتوقف على عدة مسائل مهمة لعل من ابرزها مدى النجاح او الفشل الامريكي في العراق فكلما تعثر المشروع الامريكي في العراق فان اصابع الاتهام توجه الى دول الجوار وتصاعدت حدة المواجهة وبالتالي فرض المزيد من الاملاءات الامريكية على سورية بتقديم التنازلات واذا ما تحقق النجاح فان ذلك يشكل تهديدا لسورية اذ لطالما لوح الرئيس الامريكي بوش الابن في اكثر من مناسبة تمر بها العملية السياسية في العراق ان هذا النجاح هي رسالة موجهة الى دمشق وطهران وبما يعني ان التغيير القادم سيطال هاتين الدولتين التي تضعهما امريكا على رأس قائمة الدول الراعية بما يسمى (للارهاب).

ولربما جاء تشكيل (جبهة الخلاص الوطني) من قبل عبد الحليم خدام والمراقب العام للاخوان المسلمين في سورية علي صدر البيانوني وبعض عناصر المعارضة السورية في بروكسل واعلانها عن ضرورة تغيير النظام السوري سلميا.[٤٣] كمقدمة في هذا الاتجاه. ويتوقف هذا الامر على مدى قدرة هذه المعارضة على تحقيق عملية التغيير والتي لايمكن ان تتم من دون استجابة الشعب السوري لها. كذلك فان اتجاه التصعيد يتمثل في استمرارية الضغط الامريكي من خلال لجنة التحقيق الدولية بشأن اغتيال رفيق الحريري وتسييس هذه اللجنة لصالح الولايات المتحدة وفي تقديري سوف تستمر اللجنة باعمالها الى مدة غير محددة وتقوم بالمزيد من المساءلات للمسؤولين السوريين بما فيهم الرئيس السوري بشار الاسد، وان النتائج التي تتوصل اليها اللجنة حول تورط او عدم تورط سورية في اغتيال الحريري يتوقف على مدى تقديم التنازلات السورية في شتى القضايا العالقة في المنطقة ولاسيما التنازل الى (اسرائيل) في اية تسوية قادمة.

٢- الاتجاه الثاني: التهدئة:

ينطلق تصور هذا الاتجاه في العلاقات الامريكية- السورية من التخلي الامريكي عن مطالبتها بالاصلاح في المنطقة بعد نتائج الانتخابات الاخيرة في عدد من الدول العربية التي اسفرت عن فوز التيارات الاسلامية واخفاق الاحزاب ذات الصبغة العلمانية كما حصل في مصر وفلسطين والعراق. وعلى الصعيد السوري هناك بعض

---

(٤٣) لمزيد من التفاصيل حول البرنامج السياسي لجبهة الخلاص الوطني انظر الحوار الذي اجرته قناة الجزيرة الفضائية مع المراقب العام للاخوان المسلمين في سورية مساء ٢٠٠٦/٣/٢٤.

الخطوات العملية التي اتخذتها الحكومة السورية لتهدئة التوتر الحاصل مع الولايات المتحدة والتعاون معها بشأن ضبط الحدود السورية مع العراق حيث اعلن وزير الداخلية العراقي (بيان جبر) ان الحدود السورية- العراقية اصبحت اكثر انضباطا مشيرا الى تدابير اتخذتها سورية على الحدود للحؤول دون تسلل المقاتلين الى العراق.[٤٤] كما اعلنت سورية عن استعدادها لفتح سفارة سورية في بغداد بعد تشكيل الحكومة العراقية الجديدة وذلك خلال استقبال الرئيس السوري بشار الاسد زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر لدى زيارته سورية مؤخرا.[٤٥]

وعلى صعيد ذي صلة بالضغوط الامريكية استجابت سورية للمطالب الامريكية بايقاف النشاطات الاعلامية لمكاتب المنظمات الفلسطينية العاملة في دمشق.

اما على الصعيد الداخلي فقد كانت هناك بعض الاصلاحات في مجال الافراج عن بعض المسجونين السياسيين وتبني المؤتمر العاشر لحزب البعث الحاكم في سورية عددا من التوصيات الاصلاحية من ابرزها اصدار قانون للاحزاب ومراجعة قانون الطوارئ واقامة مجلس شورى يشارك في اتخاذ القرار السياسي والاقتصادي في البلاد.[٤٦] ومحكافحة الفساد الاداري والانفتاح الاقتصادي على الغرب.

واخيرا تمثلت في الاستجابة السورية للمطالب الامريكية بشأن تهدئة الوضع اللبناني وعدم التدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية.

ويتوقف اتجاه التهدئة على خطوات اعادة بناء الثقة بين الولايات المتحدة وسورية التي تزعزت بسبب المخاوف السورية من الاهداف الامريكية في المنطقة بعد احتلال العراق من ناحية ومدى اقتناع واشنطن بمصداقية سورية وتعاونها من ناحية ثانية وفي الاستجابة الامريكية للمطالب الجوهرية السورية في استرداد اراضيها المحتلة من قبل (اسرائيل) من ناحية ثالثة.

٣- الاتجاه الثالث: التصعيد والتهدئة

يتباين هذا المشهد في السياسة الامريكية حيال سورية بين الاستمرار في تسليط الضغوط وفرض الاملاءات السياسية تارة وبين التراجع والحاجة الى التهدئة تارة اخرى. فعندما تجد الولايات المتحدة ان الاستمرار في سياسة التصعيد ضد سورية قد يواجه تحديات كبيرة وصعوبات جدية تتمثل بعدم قدرة قواتها العسكرية على القيام باي عمل عسكري محتمل على سورية بسبب عدم الامكانية على فتح جبهات قتالية اخرى

---

(٤٤) صحيفة الصباح العراقية، بغداد، الصادرة، بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٥.

(٤٥) حديث الرئيس السوري بشار الاسد خلال المؤتمر الرابع للاحزاب العربية، انظر: قناة سورية الفضائية مساء يوم ٥/ ٣/ ٢٠٠٦.

(٤٦) انظر: مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٨) ٢٠٠٥/٨، ص ٢٠٩.